عشرين شهرا ، بالرغم من تفتيش القوات الاسرائيلية للحي الذي تقـوم فيه المطبعة ـ بيتا بيتا ـ عشرات المرات ، وان « المقاومة » ظلت تصدر بانتظـام أكثر من ثلاث سنوات ، في ظروف بالغة القسوة والسوء ـ لاتضح لنا مدى ما تتمتع به الجبهة الوطنية المتحدة من كفاءة تنظيمية وعلاقات وثيقة وعميقة بالجماهير . وما تتمتع به كوادرها من جسارة واستعداد غير محدود للتضحية في سبيل وطنها .

وفي ظل القمع والتفتيشات المستمرة ، والمفاجئة ، من قبل القوات الاسرائيلية ـ للمارة والمنازل والسيارات ـ فان تخفيض أوزان واحجام المطبوعات السرية يرفع من معدلات الامان وسلامة التوزيع ، وبالتالي سلامة عمل وتنظيم الجبهة كله .

وقد يصدم القارىء عندما يعلم ان كل هذه الضجة التي أقمتها هنا ، هي بخصوص ورقة واحدة كانت تصدر بصفة دورية مرة كل اسبوع ، وتمتلىء بالمواد السياسية المتنوعة . فقد جرى طبع « المقاومة » على ورقة فولسكاب واحدة ، على كلا الوجهين . وقسمت كل صفحة الى ثلاثة أعمدة ، وجرى توزيع المواد على كل صفحة بشكل يجعل العـين تتقبلها وتستريح لها ، ويسمح ، في الوقت نفسه ، بنشر اكبر قدر ممكن من المواد ، في أصغر حجم ممكن ، توفيرا للأمان واختصارا لوقت القراء .

وأذكر اننا طبعنا من الاعداد الثلاثة الاولى من « المقاومة » نحو مائة نسخـة للعدد الواحد ، وزعنا نحو سبعين من كل عدد ، وطلبنا الى اعضاء الجبهة تمريرها على أكبر عدد ممكن من القراء ، ثم اعادتها الينا ، حيث كان يجري اعادة حصرها واحراقها ، مع الاحتفاظ ببعضها في الارشيف . وقد لجأنا الى هذا الاجراء للحيلولة دون وقوع نسخ من « المقاومة » في أيدي المحتلين ، ولحصر الجهة التي تسرب منها في حـالة وقوع بعض النسخ في أيدي سلطات الاحتلال .

ونظرا لعدم عملية هذا الاجراء ، وصعوبته ، وحاجته الى جهود مضنية ، فقد جرى رفع العـدد الى ٥٠٠ نسخة ، وسمح منذ العـدد الرابع بعـدم اعادة النسخ . وفي وقت لاحق جرى رفع عدد النسخ المطبوعة من « المقاومة » الـى الف نسخة للعدد الواحد. وأخذ الاقبال على « المقاومة » يشتد ويتزايد ، خاصة بعد دخول القطـاع مرحلـة النهوض الثوري ، بعد نجاح الاضراب الشامل الذي كانت قد دعت اليه الجبهة ، في الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . الا ان قيادة الجبهة رأت ان تكون استجابتها ـ لهذا الاقبال على الصحيفة ـ محكومة ، خشية ان يؤدي الاتساع غير المحكوم لتوزيع الصحيفة الى تعريض سلامة الجبهة كله للخطر ، او أن يشكل هذا الاتساع عبئا اضافيا على الاعضاء ، ينجزونه على حساب بقية المهام التنظيمية ، التي أخذ دورها يتزايد مع النهوض الثوري . وظل نمـو واتساع توزيع « المقاومة » مسايرا لنمـو واتسـاع الجبهة نفسها .

صحيح أن طباعة وتوزيع صحيفة سرية ، وتدابير امنها ، تكلف غاليا ، الا انهـا خير بطاقة مرور الى الجماهير ، تحمل صوت الحزب اليها ، ويستمد الحزب من الجماهير ـ بواسطتها ـ العون المادي والمؤازرة المعنوية . والعون المادي مطلوب لتغطية نفقات الطباعة والورق ، ومصاريف النقل ، وايجار المقر ، وما اليه . ونجاح اصدار وتوزيع الصحافة الثورية السرية ، وسلامتها في ظل نظام فاشي ، لا يمكن ان يكونا ثمرة جهود أفراد لا تربطهم ببعض اي رابطة ، بل هما نتيجة عمل حزب قوي ، منظم ، ويضرب بجذوره في أعماق الجماهير . واصدار مثل تلك الصحافة ، يتطلب وجود حزب قادر على حل القضايا العديدة التي يثيرها الاصدار والتوزيع ، ولديه الكوادر اللازمة لمواجهة تلك القضايا . واصدار وتوزيع صحافة سرية ، يتطلبان مناضلين لديهم القدرة علـى النقيد الواعي بانضباط صارم ، متمتعين بيقظة عالية ، وقادرين على الخروج مـن